# أصوات من القبـر
# رجلا الحرب في أيرلندا

للكتاب : أيد مولوني [1]

المدرس المساعد

غفران يونس هادي [*]

**عدد الصفحات : ٥١٢**

**الناشر :Faber and faber ,London ,2010,2011**

يقدم هذا الكتاب ( أصوات من القبر ) مجموعة من القصص التي تروي تاريخ العنف في آيرلندا الشمالية معتمداً على الروايات التي يسردها أحد أهم القيادات في الجيش الجمهوري الايرلندي فيما يخص الكاثوليك وكذلك قوة متطوعي الستر بما يتعلق بالبروتستانت.

---

[1] **أيد مولوني ولد في بريطانيا وعمل في العديد من الصحف البريطانية ، كما تم تكريمه كصحفي عام ١٩٩٩و لدية كتاب تطرق فيه الى تاريخ الجيش الجمهوري الايرلند ي وهو التاريخ السري للجيش الجمهوري الايرلندي ، وكتب كذلك السيرة الذاتية للسياسي أيان بيزلي . وهو الان يعمل في نيويورك.**

[*] **كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين.**

فالغرض من هذا الكتاب كما أشار مؤلفة "هو جمع رواياات الاحداث التي ضاعت أو تلاشت لإعادة كتابتها من جديد عن طريق مايسرده (بيردن هيوغ ) من الجيش الجمهوري الايرلندي و(ديفيد أيفيرن ) من قوة متطوعي الستر".

لقد عُد هؤلاء أحد أهم القيادات التي ساهمت في رسم وتوجية الصراع الدائر في أيرلندا الشماليـ ة فهم يمثلون أحد أهم المحاور الاساسية التي أدارت دفه ال عنف كونهم يمثلون قيادات عسكرية ارتبطت بالعنف والاحتجاج السياسي.

الكتاب يقسم الى قسمين الاول يقدم عرض اً كاملاً للجيش الجمهوري الايرلندي من ناحية تشكيل الجيش والانقسامات التي طالته وكذلك أساليب العنف التي استخدمها أعضاؤه، كل هذه الاحداث يسردها الكتاب عن طريق المقابلة التي قدمها مع بيردن هيوغ عضو قوة D التي أرتبط اسمها بأحداث العنف من تفجير وقتل للبروتستانت وكذلك ارتبط اسمها بلحد أهم ظاهرة للاحتجاج الا وهي الاضراب عن الطعام في سجن ميز والذي أدى الى وفاة ١٩ عضو اً من الجيش الجمهوري الايرلندي مما دفع بالدبلوماسية البريطانية الى قطع خطوات من أجل حل النزاع الدائر في أيرلندا الشمالية.

القسم الاخر من الكتاب يتضمن تفاصيل تكوين الجما عات المسلحة للبروتستانت وكيف انقسمت بشأن المصالحة مع الجمهوريين وكيف تحول قسم كبير منها الى العمل السياسي كل هذه الاحداث تعرض عن طريق أحد أهم الشخصيات الذي بدأ حياته ناشط اً في قوة م تطوعي الستر وأنهى حياته كسياسي يستقبل في جميع المحافل على انه أحد صناع السلام في أيرلندا الشمالية الا وهو ديفيد أيفيرن.

الكتاب ينتقل بنا الى عالم العنف في أيرلندا الشمالية ونعيش من خلاله في أ جواء الحرب والحرب المضادة فنسمع التفجيرات ونحصي أعداد الذين تم اغتيالهم، فهو ينتقل بنا الى خبايا الجماعات المسلحة كيف تخطط وكيف تقتل وأي فكر يحركها من أجل القتل.

العدد الكلي لضحايا الصراع ا لذي دار في أيرلندا الشماليـ ة هو ٣٧٠٩ للمدة بين ١٩٦٦– ٢٠٠٦، هذا العدد يعود الى الصراع بين الجماعات المسلحة التي نشطت في أيرلندا الشمالية بين الجمهورين الذين يسعون الى فك ارتباط مقاطعات أيرلندا الشمالية الست من بريطانيا ،وبين الاتحادين الذين يطالبون ببقاء هذه المقاطعات تحت راية العلم البريطاني.[1]

الصراع في أيرلندا الشمالية خلق مناطق مغلقة بين البروتستانت والكاثوليك فشارع Falls هو يمثل الكاثوليك أما Shankill فهو يمثل البروتسنات، الاحداث التي أدت الى تقسيم المجتمع دفعت باتجاه ان تشهد أيرلندا الشمالية عنفاً طائفياً بين الاونة والاخرى بين الكاثوليك والبروتستانت. فغالبا ماكانت تهاجم منازل العوائل في شارع Fallsكما ان البروتستانت الساكنين في Shankill لم يسلموا من هجمات الجيش الجمهوري الايرلندي.

[1] **نشطت العديد من الجماعات المسلحة في أيرلندا الشمالية فعلى جانب الكاثوليك هناك الجيش الجمه وري الايرلندي وكذلك الجيش الوطني للتحرير ، أما البروتستانت والذين يوصفون بالاتحاديين فالجماعات المسلحة التابعة لهم تضم رابطة الدفاع عن الستر (Ulster defense association ( UDA وهي أكبر تجمع تحادي عسكري وقوة متطوع ي الستر UVF (Ulster volunteer force) ومقا تلي الستر الاحرار UFF ( Ulster freedom fighters ) التي مارست العديد من عمليات الاغتيال ، وقوة المتطوعين الاتحادية LVF (loyalist volunteer force ) يضاف الى هذه التجمعات القوات البريطانية والمتمثلة بقوة الطوارى B–special وشرطة الستر الملكية ( RUC ) Royal Ulster constabulary.**

يبدأ الكتاب بسرد قصة بيردن هيوغ الذي التحق بقوة D في الجيش الجمهوري الايرلندي هذه القوة كانت مسؤولة عن الكثير من عمليات التفجير في بلفاست يوضح هيوغ خلال المقابلة "عندما بدأ الصراع بالانفجار وجدت نفسي أسير بلتجاه الانخراط فيه وأتذكر عندما قدمت الى شارع Falls وشاهدت غضب الناس هناك ، عندها قررت بأن منازل البروتستانت لابد ان تهاجم".

تطرق الكتاب الى ظروف وأسباب تكوين الجماعات المسلحة ، فأغلب هذه التنظيمات نشأت بدافع الا وهو الحفاظ على الامن في المناطق السكنية وتطورت هذه التجمعات من مهمة الدفاع الى المهاجمة والتورط في عمليات تفجير وقتل ولعل السبب الذي دفع بيردن هيوغ الى مهاجمة منازل البروتستانت هو السبب نفسه الذي دفع بديفيد أيفرين الى الالتحاق بقوة متطوعي ألستر UVF بحجة الدفاع عن البروتستانت من هجمات الكاثوليك ومن يمثلهم من عناصر الجيش الجمهوري الايرلندي.

يوضح أيفرين "أن تنامي التنظيمات المسلحة للبروتستانت المتمثلة بقوة متطوعي الستر ومنظمة الدفاع عن الستر هو جاء بدافع الحفاظ والدفاع عن البيت والشارع وبدأت تتسع مدارات هذه التنظيمات الاهلية من مهمة الدفاع الى الهجوم."

لقد تصاعدت دائرة العنف خلال الاعوام ١٩٧٢-١٩٧٧ وارتفعت معها أعداد الضحايا ولاسيما بعد فرض الحكم المباشر على أيرلندا الشمالية عام ١٩٧٢على خلفية أحداث الاحد الدامي في ديري ، فقد وصلت أعداد القتلى عام ١٩٧٣ الى ٢٦٣.[١]

[١] تتمحور أحداث الاحد الدامي حول هجوم القوات البريطانية على مظاهرة لأعضاء رابطة الحقوق المدنية ومنعهم من دخول مدينة ديري، هذه الاحداث والتي باتت تعرف بأحداث الاحد الدامي أسفرت عن مقتل

هذه الاحداث دفعت بالحكومتين البريطانية والايرلندية الى محاولة اعادة خلق الاستقرار السياسي والامني وعزل التنظيمات المسلحة من البروتستانت والكاثوليك . فكانت اتفاقية Sunningdale عام ١٩٧٤التي أنشأ بموجبها مجلس أيرلندا والذي منح دوراً استشارياً لجمهورية آيرلندا في بعض قضايا ايرلندا الشمالية، هذا الامر جوبه بمعارضة شديدة من قبل الاتحاديين بل ذهبوا الى أبعد من ذ لك فقد شكلوا في ١٤ مارس ١٩٧٤ مجلس عمال الستر وبدأوا بإضراب عام أدى الى شل الحياة في أيرلندا الشمالية ، وبذلك لم تفلح هذه الاتفاقية في احتواء العنف واعادة الاستقرار السياسي.

وفي عام ١٩٧٤ أعتقل بيردن هيوغ بتهمة الانضمام الى الجيش الجمهوري الايرلندي والارتباط بأحداث عنف في بلفاست ، وفي أواسط عام ١٩٧٤ بدأ الالاف من سجناء الجيش ا لجمهوري الايرلندي بالاحتجاج على وصفهم بمجرمي حرب فقد طا لبوا بمعاملتهم كسجناء سياسيين ، احتجاجهم بدأ برفضهم أرتداء الملابس الخاصة لهذه التهم، الا ان الحكومة البريطانية لم تستجب لهذه المطالب.

عدم الاستجابة لهذه المطالب دفعهم الى توسيع احتجاجهم فقد دعا بيردن هيوغ السجناء من أعضاء الجيش الجمهوري الايرلندي وكذلك أعضاء جيش التحرير الوطني الايرل ندي الى البدء باضراب عن الطعام ، يوضح هيوغ أثناء حديثه حول هذا الاحتجاج قائلا "أنا أتذكر أول يوم من

---

**١٣ شخصاً من الكاثوليك، وكرد على هذا الهجوم قام الجيش الجمهوري الايرلندي في تموز من العام ذاته = =بحملة تفجيرات في العاصمة بلفاست ففي شارع Donegall أنفجرت سيارة مفخخة أدت الى مقتل ٩ أشخاص وجرح العشرات كما قام الجيش الجمهوري الايرلندي بتفجير سيارة مفخخة في شارع oxford أدت الى مقتل عناصر من الشرطة البريطانية كما تم وضع قنبلة في حقيبة بلاستكية امام عدد من المحلات أدت الى قتل وجرح العديد . هذه الاحداث عرفت بأحداث الجمعة الدامية و أصبحت تعد بمثابة رد الجيش على هجوم القوات البريطانية على المتظاهرين الكاثوليك .**

هذا الاضراب فقد نظرت في زوايا زنزانتي وقلت سيكون هذا أول يـ وم في حياتي".

لجوء أعضاء الجيش الجمهوري الايرلندي الى الاضراب عن الطعام منحهم فرصة للحصول على مزيد من التأييد الشعبي لاسيما بعد وفا ة بوبي ساندس وفرانك أستاغ ابعد اضرابه م عن الطعام م دة ٦٦ يوم، تمكن حزب الشين فين في انتخابات ١٩٨٢ من الح صول على ١٠ بالمئة من الاصوات.

الكتاب تطرق أيضا الى عرض وجهات نظر بيردن هيوغ وديفيد أيفيرن حول الاتفاقيات التي سعت الى الخروج من دائرة الصراع ومحاوله تأسيس السلام في أيرلندا الشمال ية ، فلتفاقية عام ١٩٨٥ الانكلو– أيرش منحت دبلن دوراً استشارياً في أيرلندا الشمالية ، هذه الاتفاقية لم تنجح في احتواء العنف وفشلت في تحقيق الهدنه بين الاطراف المتنازعة.

يذكر ديفيد أيفيرن عن أسباب فشل هذا الاتفاق "نحن نقف بالضد من كل شي جمهوري فلم تكن تنجح أي خطط لوقف أطلاق النار لأن الجماعات المسلحة بدأت تتسع ولن تعد قوة متطوعي الستر وحدها تقف بالضد من الجمهوريين بل ظهرت الى الوجود تنظيمات مسلحة أخرى ، فلم تفلح كل الجهود الدبلوماسية في احتواء هذه التجمعات".

لكن المارثون بـاتجاه عملية السلام لم يت وقف وبالفعل توجت محاولات إنهاء العنف بتوقيع اتفاقية الجمعة العظيمة عام ١٩٩٨ والتي عُدت كونها اتفاقية أرضت الجم يع من الاتحاديين والجمهوريين فقد أوضح ديفيد أيفيرن أن اتفاق الجمعة العظيمة "جاء لأن الحكومات بدت مستعدة للعمل مع الاشخاص من خارج الاتفاقية أكثر من الاشخاص المعنيين بها ورغم انها لم

تخلو من العيوب لكنني كنت مبتهج اً ومتحمساً للمرحلة القادمة التي من الممكن ان تصصح مسار هذه الاتفاقية."

اتفاقية الجمعة العظيمة أكدت التزامها بمبدأ الشراكة والمساواة والاحترام المتبادل وحماية الحقوق المدنية والسياسية والعمل على تكوين مؤسسات تربط الشمال والجنوب، الا أن انشاء هذه المؤسسات لم يعد أمراً يخشى منه الاتحاديون كون الاتفاقية أعطت حق تقرير المصير لشعب أيرلندا كله (البروتستانت والكاثوليك ) فيما لو تحققت رغبتهم بالا ندماج مع أيرلندا الجنوبية، وأكدت الاتفاقية ان الرغبة الحالية لشعب أي رلندا هو الحفاظ على هذا الاتحاد ، حفاظ الاتفاقية على هذا الاتحاد منح البروتستانت الشعور بالارتياح من مخاوفهم التي تتعلق بلندماجهم مع أيرلندا الجنوبية.

أمنيا نصت الاتفاقية على خطة اطلاق سراح السجناء و تأمين اعادة دمجهم بالمجتمع وتوفير فرص العمل الملائمة لهم . كما اشترطت نزع السلاح للجماعات المسلحة كشرط ضروري لبناء عملية السلام.

الاتفاقية أسست لنظام سياسي يعتمد على انتخاب الجمعية التي تضم كافة الاحزاب السياسية وتكون لها صلاحيات تنفيذية وتشريعية.

الكتاب يضم مجموعة من الخرائط التي توضح الاماكن التي شهدت أحداث العنف في السنوات السابقة . وكذلك ملحقاً اختص بالتسلسل الزمني للأحداث في أيرلندا بدأ م ن تاريخ دخول القوات البريطانية الى آيرلندا عام ١١٧٠ وانتهاء بعقد الجمعية لجلساتها في ايرلندا الشمالية عام ٢٠٠٦ وكذلك تضمن هذا الملحق أعداد ضحايا العنف في كل عام.

ويختتم كل قسم من هذا الكتاب بذكر وفاة أبطاله بعد عرض تفاصيل حواره، بيردن هيوغ توفي عام ٢٠٠٨ موصيا بأن يدفن في شارع Falls بالقرب من تذكار الذي يشير الى مجموعة D، أما ديفيد أيفيرين فقد توفي عام ٢٠٠٧ بعد أن عزف عن العمل المسلح بأتجاه العمل السياسي وأصبح عضوا في الحزب التقدمي الاتحادي.